العقل والمشورة من أسس بناء الفرد والمجتمع (دراسة في ظل القصص القرآني).

Reason and consultation are the foundations of building the individual and society. (A study in light of Quran stories).

✍اسم ولقب المؤلف: أحمد الناجي امحمد حسين.

الدرجة العلمية والوظيفة: ماجستير (مساعد محاضر)، مركز البحوث الإسلامية – البيضاء.

البريد الإلكتروني: ahmadalhtak48@gmail.com

تاريخ استقبال البحث: 2025/10/30م، تاريخ القبول: 2026/01/21م

الملخص باللغة العربية:

يهدف هذا البحث إلى دراسة ما أرشد إليه الوحي من أسس وأساليب بناء الأمة أفرادًا وجماعات، ولما كان التقصير لدى كثير من المسلمين عامتهم وخاصتهم من دعاة وأساتذة ومؤسسات دعوية أو تربوية أو تعليمية في كثير من تلكم الأسس، قصدتُ في هذا العمل للتعرض لبعضها إعلامًا بأهميتها, وهما العقل والمشورة خاصة، وعقدتُ لذلك مبحثين، جعلت الأول في بيان حقيقتهما، وطرفٍ من أدلة اعتبارهما، وذكر مآلات رعايتهما، واخترت الإبانةَ عنهما من خلال الأسلوب القرآني الفريد، ألا وهو أسلوب القصص للتنبيه على أهمية احتذائه في البناء والتربية، وعطفتُ بمبحثٍ ثانٍ، جعلته في بيان منزلة العقل في الإسلام، وذكر ضوابطه المقتضية لبراءة الذمة بالتزامها، وانتهيت من كل ما تقدم بخاتمةٍ أودعتُها جملةً من التوصيات.

الكلمات المفتاحية: بناء المجتمع – بناء الفرد - أولو النُهى – أولو الألباب – براءة الذمة.

Research summary:

This research aims to examine the foundations and methods guided by revelation for building the nation, both individually and collectively. Given the shortcomings of many Muslims, both general and specific, including preachers, teachers, and advocacy, educational, and teaching institutions, I intend in this work to address some of these foundations, highlighting their importance. In particular, I have devoted two chapters to this purpose. The first explains their true nature, provides some evidence for their validity, and outlines the consequences of their adherence. I chose to illustrate them through the unique Quranic style of narratives, highlighting the importance of emulating them in building and educating. I followed this with a second chapter, which I dedicated to explaining the status of reason in Islam and its constraints, which necessitate abiding by them. I concluded the above with a conclusion containing a set of recommendations.

Keywords :Building the community - Building the individual - People of understanding - People of understanding – Innocent.

مقدمة.

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً، صلى الله عليه عدد ما تعاقب الليل والنهار، وسلم تسليما كثيرا.

وبعد، فإن المتتبع لآي القرآن الكريم، يعلم أنه تبيان لكل شيء، أنزله الله منهجا عاما محكما، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أعجز بعجائبه، فظهرت يوما فيوما، وجعله مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه، وما فرط فيه من شيء، يعظ مسيئا، ويعد محسنا، حتى عرفه المنصفون من مؤمن وجاحد، وشهد له الراغب والمحتار والحاسد، فكان الحال بتصديقه أنطق من اللسان، وبرهان العقل فيه أبصر من شاهد العيان، وأبرز آياته في الآفاق، فتبين للمؤمنين أنه الحق، كما أنزله على أفضل المرسلين، فأصبح الرسول صلى

الله عليه وسلم سيد الحكماء المربين، وبه شرح صدره إذ قال: { إنك على الحق المبين } (النمل، الآية: 79)، وبشر أهل الإيمان أن لهم قدم صدق عند ربهم، فلم يزل القرآن مشعا نيرا محفوظا من لدنه أن يترك فيكون مبدلا ومغيرا، فهو يبني الفرد والمجتمع على أسس صحيحة ترشده في ما يحتاجه في أمور دينه ودنياه، فقد حكى القرآن القصص لنعتبر، وضرب الأمثال لنتعظ، ومن أعظم الأسس التي وضعها للمسلم هي: إعمال العقل والمشورة، وبين ما آلت إليه عاقبة أصحاب العقول، حين أعملوا عقولهم، وابتعدوا عن التبعية التي ذمها القرآن الكريم وبين ما آلت إليه عاقبتهم في مواضع كثيرة، كما في قوله تعالي: { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا } (الأحزاب، الآية: 67).

وإسهامًا في بيان ما سبق، ولبسط الكلام قليلاً في مضامين العمل على هذا الموضوع جعلت له مقدمة وقسمتها إلى عدة محاور، تناولت فيها: بيان إشكالية موضوع الدراسة، وجملة الأسباب التي حملت على اختياره، وأهميته، والهدف والغاية منه، والسبيل الذي انتهجته في بحثه، فضلاً عن بيان ما يكون من دراسات سابقة بشأنه بحسب اطلاعي، علاوة على ذكر أهم ما اعتمدته من مراجعه، وشرح مجمل لخطته، وهي على النحو الآتي:

أولاً: في بيان إشكالية الموضوع وأسباب اختياره وأهميته .

مما لا يخفى على كل ناقد ما يحصل في مجتمعنا من تساقط في حبال الشائعة، وترويج الإعلام، وتوكيل الأمور لغير أهلها، وتأجيج الفتن والخلافات، وإسقاط القيم والثوابت الدينية والاجتماعية، وإثارة الشكوك والتهم حول رموز الإصلاح والعطاء في المجتمع، وهذا واقع مسلمٌ به في مجتمعنا، من الناحية الاجتماعية والثقافية وغيرهما، حتى أصبح المسلم تتلقفه المواقف والأخبار والشائعات دون تعقل واستقلالية، ومشورة في ما حزم من الأمور مما يوجب براء الذمة، فما يأتي أمر يحتاج إلى تريث وتعقل أو مشورة أيًّا كان نوعه، إلا وترى من بعض الناس إن لم يكن أغلبهم الاضطراب وطيش العقول، ويغيب إعمال العقول المتجردة، وتضيع الحكمة تحت واقع الأهواء والعواطف والحماس والانفعالات، ويغيب الموقف الشرعي المنضبط الذي يزن الأمور بمعيار الحق والعدل، لا الهوى والانتماء، فالمتأمل في كثير مما يواجه الفرد والمجتمع من أزمات وفتن، يرى الكثير من الناس ليس لديهم ضوابط تسلم به نفوسهم من التهافت في مزلات الشيطان ومجانبة الصواب، فهذا يعطي إشارة واضحة على وجود خلل في بعض أو كثير من الأسس التي وضعها القرآن الكريم لبناء الفرد والمجتمع على قواعد صحيحة، ترشده إلى ما يحتاجه في أمور دينه ودنياه،

ليكون المسلم على سلامة في دينه، وعلى صواب في تحري أمور دنياه وتقيه تجنب الحق ونصرة الباطل، فهذه الظواهر كفى بها دافعًا وسببًا للبحث عن تلكم القواعد التي وضعها القرآن الكريم للفرد والمجتمع صيانة له وحماية مما نراه قد ضرب أطنابه في المجتمعات المسلمة، فصار الفرد والمجتمع بيئة مناسبة لتلكم الظواهر، وذلك في جميع أوساط المجتمع مع تفاوت ثقافاتهم، فلم يسلم منها حتى نخبة المجتمع إلا من رحم الله، وهذا الأمر له أسبابه، فالناظر في نصوص الشريعة يرى أن كل نص من نصوصها التي شرعها الله لبناء الفرد والمجتمع وحمايته يسد على الشيطان ومكائده ثغرا من ثغوره، ومن أعظم الأسس التي وضعها للمسلم هي: إعمال العقل والمشورة، وبيان ما آلت إليه عاقبة أصحاب العقول، حين أعملوا عقولهم، وابتعدوا عن التبعية التي ذمها القرآن الكريم في مواضع كثيرة، وكذلك أشركوا أصحاب الرأي السديد في ما أشكل عليهم من الأمور، وفائدة ذلك أن لا يكون شأن المسلم "شأن الدهماء أن يسوِّدوا عليهم من يُعجبُون بأضغاث أحلامه، ويُغَرْون بمعسول كلامه، ويسيرون على وقع أقدامه، حتى إذا اجتنوا ثمار أكمامه، وذاقوا مرارة طعمه وحرارة أُوامه، عادوا عليه باللائمة وهم الأحقاء بملامة "[1]. وفي هذا قال تعالي: { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا } (الأحزاب، الآية: 67).

فمن الثابت أن العقل هو مناط التكليف، وإعماله أصل من أصول الإسلام ، وغاية من غاياته المهمة التي بها قوامه، فحث على إعماله فهياً، وحذر من مغبة تعطيله، بل ودعا المسلمَ فردًا وجماعةً إلى المشورة والاسترشاد بعقول الخيرين، وأصحاب الحكمة والتخصص، ليكون السداد والتوفيق هو المرجو في بدايتها وعاقبتها، ولما كان الواقع في زماننا تساهلهم بشأنهما، مما أوجب إخلالاً كبيرًا في شخصية المسلم وما أراده الإسلام منها، من حيث الاستقلالية وعدم التبعية المذمومة, وطلب المشورة فيما يتعلق بأمور دينه ودنياه، ويزيد موضوع البحث أهمية حين يعرض علاجه في قلاب المنهج القرآني، وهو أسلوب القصص القرآني وضرب الأمثال، لعلاج مثل هذه الأمور وغيرها، فحين توضع الأسس، وتوجد الحلول لما يحتاجه الفرد والمجتمع في قالب القصص وضرب الأمثال، فهو أدعى للقبول، وأبقى لأثره في النفس، لما جُبلت عليه النفوس من حب القصص والأمثال، وبالغ

(1) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، 11 - 407، ط: الدار التونسية للنشر.

أثرهما فيها، قال تعالي: { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } (يوسف، الآية: 111)، وقال سبحانه: { وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } (إبراهيم، الآية: 25).

كذلك لا يخفى على كل مسلم ما حصل من تقصير في هذا الأسلوب القرآني العظيم، وإهمال ذلك على المنابر، وفي الدورات التعليمة، والمحاضرات، ومناهج التربية، وغيرها، فما سبق كان سببًا لطرح موضوع البحث بهذه الطريقة وعرضه في هذا اللباس.

وقد بدا ظاهرًا مما سبق إشكالية الموضوع، وكذلك أسباب اختياره وأهميته، وظني أن كل هذه الأمور ملازم بعضها للأخرى.

ثانيا: في بيان غايته والأهداف .

إن الغاية من هذا الموضوع هي المشاركة ولو بالجهد المقل في تصحيح مفاهيم المسلمين، وربطهم بمنهج القرآن الذي هو سبب قوة هذه الأمة ورفعتها وشرفها، قال تعالى: { وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ } (الزخرف، الآية: 44)، (قيل: معناه لَشَرف)[1].

وبها تتحقق الأهداف التي منها أن تكون الشخصية المسلمة مستقلة بعيدة عن التبعية ومغبتها المقيتة، ودون التحرر المذموم الغير منضبط بضوابط القرآن، الذي يصادم النصوص القطعية الثبوت، الصريحة الدلالة، أو الفطرة السليمة وما تعارف عليه الناس فيما لا يتعارض مع شريعة الإسلام، وكذلك صد الطريق على كل سبيل للشيطان يوقع به المسلم في ما نهى الله عنه من فتن وإضعاف لجماعة المسلمين، والنيل من أعراضهم بهتانًا وظلمًا.

ويكون تحقيق غايته وأهدافه أقرب بلوغًا حين تتبناه مؤسسات تعليمية ودعوية، تشرف عليه وترعاه، ويكون جزءًا من مناهجها التربوية بحسب المراحل التعليمية، بخطاب يناسب كل مرحلة على حده.

ثالثا: في بيان فروضه.

لتحليل وتشخيص ما تعانيه الأمة فردًا وجماعات _ إلا من رحم الله _ من بعد عن منهج القرآن من حيث الاستقلالية، ورجاحة العقل، وتحقيق الحكمة والمشورة التي أثبت القرآن

(1) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، ط:: الثانية، 229/7.

بهما المآلات المحمودة من جهة، و براءة الذمة من جهة أخرى، فلابد من الإحاطة بجوانب الإخلال المذكور، وذلك بوضعه في إطار أسئلة تستوعب جميع جوانبه أو جلها، ليكون تاليًا الجواب عنها - بتوفيق الله – من خلال البحث، ومن هذه التساؤلات ما يلي:

1- هل التقصير من المصلحين من حيث عرض مثل هذه المواضيع أو كيفية عرضها، وتوظيف أساليب القرآن والسنة في علاج ذلك.

2- هل هجر المسلمين القرآن تلاوة وتعلمًا وعملاً له أثره البالغ أيضًا.

3- هل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي والتأثر بحضارة الغرب له نصيبه والحضر الوافر في هدم شخصية المسلم وحشرها في خانة التبعية، لتكون مهيأة للتلاعب بها وإفساد عقيدتها.

فهذه جملة فروض لعلي أكون مصيبًا في افتراضها وبالله التوفيق.

رابعا: في ذكر أهم مصادره ومراجعه.

لقد استخدمت في بحثي هذا عدة مراجع منها ما يتعلق بتفسير القرآن وعلومه، ومنها ما يتعلق بعلم الحديث، ومنها ما يتعلق بمعاجم اللغة، وكان من أهمها تفسير ابن جرير الطبري، وتفسير ابن كثير، وتفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير)، وصحيحي البخاري ومسلم، وسيرة ابن هشام، وغيرها.

خامسا: في بيان المنهج المتبع في كتابته والدراسات السابقة لموضوعه.

لقد اعتمدت في كتابة بحثي هذا منهج التتبع والاستقراء، ومن الدراسات السابقة : دراسة د/ اهداب محمد حسني بعنوان (قصة بلقيس بين النص القرآني وتصاوير المخطوطات الإسلامية في العصر الصفوي – له علاقة بمدارس التصوير ومدى تأثرها بقصتها، وتختلف هذه الدراسة عنها في كونها أوسع ولا تقتصر على جانب معين لتأثير القصة في المجتمع، وكذلك دراسة نهلة شلابي بعنوان (آليات الإقناع في قصة بلقيس في سورة النمل)، وهذه الدراسة تركز على الجانب البلاغي في السرد القرآني للقصة، وهي تهتم في دراستها للقصة من الجانب اللغوي .

وكذلك: دراسة خالد إبراهيم ومحمد جاسم بعنوان (القيادة النسوية في القرآن ملكة سبأ أنموذجاً) هذه الدراسة ركزت على إبراز القيادات النسوية في القرآن منها قصة ملكة سبأ، وهذه الدراسة تناولت قصة ملكة سبأ من جانب أخر، هو أوسع منها بحيث تخاطب

جميع شرائح المجتمع وتوجهها، لإعمال العقل والمشورة اللذان هما من أسس حفظ الفرد والمجتمع من معاول الهدم التي سبق ذكرها.

سادسا: في بيان خطة دراسته.

وقد ارتأيت دراسة هذا الموضوع وفق خطة قسمتها على مبحثين:

المبحث الأول: إرشاد القرآن لإعمال العقل والمشورة، وقسمته إلى ثلاثة مطالب:

الأول: التعريف بكلمتي العقل والمشورة.

الثاني: أدلة إعمال العقل والمشورة في القرآن الكريم.

الثالث: بعض العقلاء الذين ذكرهم القرآن وما آلت إليه عاقبتهم.

المبحث الثاني: منزلة العقل في الإسلام وضوابطه وبرآه الذمة بإعماله، وقسمته إلى ثلاثة مطالب:

الأول: منزلة العقل في الإسلام.

الثاني: حدود إعمال العقل في القرآن الكريم.

الثالث: إعمال العقل براءة الذمة.

المبحث الأول

إرشاد القرآن لإعمال العقل والمشورة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

التعريف بمعنى كلمتي العقل والمشورة

أولاً: العقل معناه في اللغة والشرع.

ذكر العقل ورد في القرآن الكريم بصيغ مختلفة، منها قوله تعالى: { أَفَلا تَعْقِلُون }، وقد ورد بهذه الصيغة في أربعة عشر مواضعا، ومنها قوله تعالى: { لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون }، وقد ورد بهذه الصيغة في ثمانية مواضع، ومنها قوله تعالى: { أُولِي الأَلْبَابِ }، وقد ورد بهذه الصيغة في ستة عشر موضعاً، منها قوله تعالى: { إنَّ في ذلك لآياتٍ لأُوْلِي النهى }، ومعنى الآية " أي أصحاب

العقول لأن النُهى العقل وسمي نهية، لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح كالشرك والمعاصي " [1].

كما أن الآيات التي تشير إلى العقل، وتحث على استخدامه كثيرة، وقد تأتي بصيغة البصر، كما في قوله تعالى: { وفي أنفسكم أفلا تبصرون } (الذاريات، الآية: 21)، وقد يأتي بصيغة السمع، كما في قوله تعالى: { أفلا تسمعون } (القصص، الآية: 71).

وإذا عرفنا أن هذا تنبيهًا على أهمية العقل، فلنشرع في المقصود هاهنا وهو التعريف بمعنييه اللغوي والشرعي، وكذلك المشورة.

أ- في بيان المعنى اللغوي للعقل:

العقل (من عقل، والعقل: الحجر والنهي ضد الحمق، والجمع عقول، وقال ابن الأنباري: رجل عاقل وهو الجامع لأمره ورأيه، مأخوذ من عُقِلت البعير إذا جُمِعت قوائمه، وقيل: العاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، أخذ من قولهم قد اعتقل لسانه إذا حبس ومنع الكلام، وسمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، وقيل العقل هو الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوان) [2].

ب- في بيان المعنى الشرعي:

العقل في الشرع " هو القوة التي يكون بها التمييز بين القبح والحسن، وأنه نور روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية " [3].

ثانيا: المشورة معناها في اللغة والشرع.

أ- معناها في اللغة:

" المَشُورة والمَشْوَرَة لغتان قال الفراء المَشُورة أَصلها مَشْوَرَة ثم نقلت إِلى مَشُورة لخفَّتها، اللَّيث المَشْوَرَة مفْعَلَة اشتُقَّ من الإِشارة ويقال مَشُورة، أَبو سعيد يقال فلان وَزِيرُ فلان

(1) جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط: 5، 3 / 353، ن: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ط: 3، 11- 458، 459 ن: دار صادر- بيروت.

(3) مناهج جامعة المدينة، أصول الدعوة وطرقها 1، ص:259، ن: جامعة المدينة.

وشِيرُه أي مُشاورُه وجمعه شُوَرَاءُ "[1]، " وقيل: مشتقّة من شار العسل أي جناه من الوقَبَة لأنّ بها يستخرج الحقّ والصّواب "[2].

ب- معناها في الشرع:

من المعلوم أن المشورة قد أمر الله بها نبيه في كتابه العزيز، قال تعالى: { وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمر } (آل عمران، الآية: 159)، " واختلف أهل التأويل في المعنى الذى أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاور فيه أصحابه فقالت طائفة: ذلك في مكائد الحروب، وعند لقاء العدو، تطييباً لنفوسهم ورفعًا لأقدارهم، وإن كان الله تعالى قد أغناه عن رأيهم بوحيه.

وقال آخرون: ذلك فيما لم يأته فيه وحى، فقد قال الحسن: ما أمر الله - تعالى - نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشاورة من الفضل، وليقتدي به أمته من بعده "[3].

ويؤكد ذلك أن الله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه العزيز أن المشورة من صفات عباد الله الذين استجابوا لربهم، قال تعالى { وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } (الشورى، الآية 38)، " أي: شأنهم أنهم إذا حدث بينهم أمر مهم يحتاج إلى المراجعة والمناقشة، تجمعوا وتشاوروا فيما هو أنفع وأصلح "[4].

والمعنى الشرعي لكلمة مشورة: " إنَّما تكون في الأمر المهمّ المشكل من شؤون المرء في نفسه أو شؤون القبيلة أو شؤون الأمة "[5].

المطلب الثاني

أدلة اعتبار العقل والمشورة في القرآن الكريم

لقد أرشد القرآن في مواضع كثيرة إلى أهمية العقل، ووجوب إعماله، فقد وردت كلمة (يعقلون) ما بين مدح وذم وغيرهما اثنان وعشرون مرة، ووردت كلمة (تعقلون) كذلك أربعة وعشرون مرة، وكلمة أولو الألباب وردت كذلك سبع مرات، و(أولو النهى) وردت

(1) لسان العرب، 4 / 434.

(2) ابن عاشور، 3 / 337.

(3) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط: 1، 2/ 318، ن: دار نهضة مصر للطباعة والنشر– القاهرة.

(4) المصدر السابق، 13/ 42.

(5) التحرير والتنوير، 3 / 337.

مرتين، فقد خاطب الله عباده، وحثهم على إعمال عقولهم في معرفة الحق والباطل، والاسترشاد به في التمييز بين الأمور، إلا في ما تقصر عنه العقول أو يفضي إعمالها إلى مشقة، لذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب لكشف الحقائق العليا، وإظهار أسرار المعاني التي حارت فيها ألباب العقلاء.

وبما أن المقصود الأعلى للمسلم في جميع جوانب الحياة هو الهداية إلى الحق والصواب، "وإذ قد كانت العقول عرضة للاضطراب والخطأ احتاجت النفوس إلى هدي يتلقى من الجانب المعصوم عن الخطأ وهو جانب الله تعالى، فلذلك كان الذي يهدي إلى الحق أحق أن يتبع، لأنه مصلح النفوس، ومصلح نظام العالم البشري، فاتباعه واجب عقلاً واتباع غيره لا مصحح له، إذ لا غاية ترجى من اتباعه، وأفعال العقلاء تصان عن العبث "[1].

وكذلك المشورة ذكرت تصريحًا في موضعين منها قوله تعالى: { وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمر } (آل عمران، الآية: 159)، (أي: الأمور التي تحتاج إلى استشارة ونظر وفكر، فإن في الاستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصره، منها: أن المشاورة من العبادات المتقرب بها إلى الله، ومنها: أن فيها تسميحًا لخواطرهم، وإزالة لما يصير في القلوب عند الحوادث، فإن من له الأمر على الناس إذا جمع أهل الرأي والفضل وشاورهم في حادثة من الحوادث اطمأنت نفوسهم وأحبوه، وعلموا أنه ليس بمستبد عليهم، وإنما ينظر إلى المصلحة الكلية العامة للجميع، فبذلوا جهدهم ومقدورهم في طاعته، لعلمهم بسعيه في مصالح العموم، بخلاف من ليس كذلك، فإنهم لا يكادون يحبونه محبة صادقة، ولا يطيعونه وإن أطاعوه فطاعة غير تامة)[2].

(ومنها: أن في الاستشارة تنور الأفكار، بسبب إعمالها فيما وضعت له، فصار في ذلك زيادة للعقول، ومنها: ما تنتجه الاستشارة من الرأي المصيب، فإن المشاور لا يكاد يخطئ في فعله، وإن أخطأ أو لم يتم له مطلوب، فليس بملوم، فإذا كان الله يقول لرسوله -صلى الله عليه

(1) التحرير والتنوير، 11 - 77، ط: 1.

(2) عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط: 1، ص: 154، ن: مؤسسة الرسالة.

وسلم- وهو أكمل الناس عقلاً وأغزرهم علمًا، وأفضلهم رأيًا، { وشاورهم في الأمر } فكيف بغيره؟)[1].

وكذلك قوله تعالى: { وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ } (الشورى، الآية: 38)، ({ وَأَمْرُهُمْ } الديني والدنيوي { شُورَى بَيْنَهُمْ } أي: لا يستبد أحد منهم برأيه في أمر من الأمور المشتركة بينهم، وهذا لا يكون إلا فرعًا عن اجتماعهم وتآلفهم وتوادهم وتحابهم وكمال عقولهم، أنهم إذا أرادوا أمرا من الأمور التي تحتاج إلى إعمال الفكر والرأي فيها، اجتمعوا لها وتشاوروا وبحثوا فيها، حتى إذا تبينت لهم المصلحة، انتهزوها وبادروها، وذلك كالرأي في الغزو والجهاد، وتولية الموظفين لإمارة أو قضاء، أو غيرهما، وكالبحث في المسائل الدينية عموما، فإنها من الأمور المشتركة، والبحث فيها لبيان الصواب مما يحبه الله، وهو داخل في هذه الآية، ولما فيها من التوفيق وسداد الرأي وتجنب الخطأ، الذي قد يضر بالفرد أو المجتمع، أو فوات مصلحة تظهر لأصحاب العقول النيرة، أو درء مفسدة ظاهرة أو متحققة) [2]، والمتأمل في الآيتين وما بينهما من ارتباط متعلق بالإشارة لأهمية المشورة واضح جلي، إذ قد أمر الله نبيه بمشورة أصحابه وهو المؤيد بالوحي, فكيف بمن كان دونه، لاشك أن الأمر في حقهم آكد.

المطلب الثالث

بعض العقلاء الذين ذكرهم القرآن وما آلت إليه عاقبتهم

أولاً: ملكة سبأ مع نبي الله سليمان عليه السلام.

وتظهر رجاحة عقلها في عدة أمور: منها معرفتها أنه كتاب كريم، وذلك من فحوى الكتاب فقالت (لحاشيتها بعد أن قرأت الكتاب وفهمت ما فيه: { يأيها الملأ }، أي: يا أيها الأشراف من قومي: { إني أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ }.

وصفته بالكرم لاشتماله على الكلام الحكيم، والأسلوب البديع، والتوجيه الحسن، ولجمال هيئته، وعجيب أمره) [3]، ومنها قولها ماكنت قاطعة أمرا حتى تشهدون، فصيغة {

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص: 154.

(2) المصدر السابق، ص: 759.

(3) التفسير الوسيط، 3211.

كنت قاطعة }، " تؤذن بأن ذلك دأبها وعادتها معهم، فكانت عاقلة حكيمة مستشيرة، لا تخاطر بالاستبداد بمصالح قومها، ولا تعرّض ملكها لمهاوي أخطاء المستبدين " [1].

وأما قولها حتى تشهدون: (كناية عن معنى: توافقوني فيما أقطعه، أي يصدر منها، إما بالقول كما جرى في هذه الحادثة، وإما بالسكوت وعدم الإنكار، لأن حضور المعدود للشورى في مكان الاستشارة مغن عن استشارته، إذ سكوته موافقة، ولذلك قال فقهاؤنا: إن على القاضي إذا جلس للقضاء أن يقضي بمحضر أهل العلم، أو مشاورتهم، وكان عثمان يقضي بمحضر أهل العلم، وكان عُمر يستشيرهم، وإن لم يَحضروا، وقال الفقهاء: إن سكوتهم مع حضورهم تقرير لحكمه.

وليس في هذه الآية دليل على مشروعية الشورى، لأنها لم تحكِ شَرعًا إلاهيًا ولا سيق مساق المدح، ولكنه حكاية ما جَرى عند أمة غير متدينة بوحي إلهي، غير أن شأن القرآن فيما يذكره من القَصص أن يذكر المهم منها للموعظة أو للإسوة، فلذلك يستروح من سياق هذه الآية حسن الشورى) [2]، ومنها أيضا: رجاحة عقول الملأ، وهم أهل المشورة وثقتهم في رجاحة عقل الملكة، وسداد رأيها حين قالوا: { قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ } أي (مع إظهار هذا الرأي فوّضوا الأمر إلى الملكة لثقتهم بأصالة رأيها لتنظر ما تأمرهم فيمتثلون، أي إن كان رأيك غير الحرب فمُري به نُطعك) [3]، ومنها: حنكتها في اختبار سليمان عليه السلام هل هو ملك أو نبي، بعد أن ذكرت ما يفعله الملوك عندما يدخلوا القرى عنوة، وصدقها القرآن فيما قالت في قوله تعالى: { وكذلك يفعلون }، وكذلك حكمتها حين قالت: { وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ }، (لتختبره بذلك وتعرفه به، أملك هو، أم نبيّ؟ وقالت: إن يكن نبيا لم يقبل الهدية، ولم يرضه منا، إلا أن نتبعه على دينه، وإن يكن ملكا قبل الهدية وانصرف) [4]، (فلما رجعت الرسل إلى ملكة

(1) التحرير والتنوير، 10 / 354.

(2) المصدر السابق، 10 / 354.

(3) المصدر السابق، 10 / 355.

(4) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط: 1، 19 / 455، ت: أحمد شاكر، ن: مؤسسة الرسالة.

سبأ بما قاله سليمان، قالت: قد - والله - عرفت ما هذا بملك، وما لنا به من طاقة، وبعثت إليه: إني قادمة إليك بملوك قومي، لأنظر في أمرك وما تدعونا إليه من دينك) [1].

فبما سبق ذكره تتجلى رجاحة عقل الملكة بلقيس، بأن جمعت بين التعقل والمشورة، حين استشارت قومها، فلم يطغها ذلك، ولجأت إلى الحكمة والمشورة، اللتان كانتا سبباً بعد فضل الله في سلامتها، وسلامة قومها إذ أوكلوا أمرهم إليها، ثم هدايتها وقومها للإيمان بعد أن استدلت بعقلها على نبوة سليمان عليه السلام، وسلامته مما ابتلي به الملوك من حب الذهب والمال، وذلك فيما أهدته إليه.

ثانيا: مؤمن آل فرعون.

فقد تجلت حكمته ورجاحة عقله في كتمه لإيمانه ليتحقق له، وكذلك لغيره مالا يتحقق لو أظهر إيمانه وتصديقه لموسى عليه السلام " وكان كتمه الإيمان متجددًا مستمرًا تقية من فرعون وقومه، إذ علم أن إظهاره الإيمان يضره ولا ينفع غيره " [2].

ثالثا: الطفيل بن عمرو الدوسي.

عندما قدم إلى مكة (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، على ما يرى من قومه، يبذل لهم النصيحة، ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه، وجعلت قريش حين منعه الله منهم، يحذرونه الناس ومن قدم عليهم من العرب، وكان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث: أنه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفًا، وشاعرًا لبيبًا، فقالوا له: يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه ولا تسمعن منه شيئًا، قال: فو الله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفا أي القطن، فرقا من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه) [3].

---

(1) التفسير الوسيط، ص: 3214.

(2) التحرير والتنوير، 24 - 128، ط: الدار التونسية للنشر.

(3) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، 1 – 382، ن: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: 2.

(قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة، قال: فقمت منه قريبا، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، قال: فسمعت كلامًا حسنًا، قال: فقلت في نفسي: وا ثكل أمي، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول! فإن كان الذي يأتي به حسنا قبلته، وإن كان قبيحا تركته، قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته فاتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا، فو الله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعته قولاً حسنا، فأعرض علي أمرك. قال: فعرض علي رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام، وتلا علي القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمرًا أعدل منه.

قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا نبي الله، إني امرؤ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم، وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عونًا عليهم فيما أدعوهم إليه فقال: اللهم اجعل له آية) [1].

إن المتأمل في قصة الطفيل رضي الله عنه يتحقق لديه خطورة إهمال العقل، وأن يوكل الإنسان أمره لغيره، أو للشائعات والمواقف الغير مدروسة أو منضبطة، أو الأمور التي لا يراعى فيها حقوق الله، وحقوق العباد، مما يوجب الإثم والظلم ومجانبة الصواب، فلما تأثر بما قاله المشركون، وما استخدموه من أساليب الصد عن الحق والهدى، كاد أن يضل عن سواء السبيل، فمجرد أن استقل بتفكيره، وأعمل عقله، ظهر له الحق، وهداه الله إلى سواء السبيل، بل صار من خيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني

منزلة العقل في الإسلام وحدوده وبرآه الذمة بإعماله

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

منزلة العقل في منهج الإسلام:

(1) سيرة ابن هشام، 1/ 382، 383.

إن العقل هو مناط التكليف في الشريعة الإسلامية، بل في جميع الديانات السماوية، فعن علي رضي الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: " رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يشب، وعن المعتوه حتى يعقل "[1]، فأدلة الإسلام تخاطب العقل، وتدعو إلى إعماله والاعتماد عليه في الوصول إلى الحقائق، وتحصيل النتائج، وإناطة فهم المحسوسات والمعنويات به، (فالإسلام يرى أن الدين والعقل، هما عنصران جوهريان في الإنسان، يتلازمان ولا يتناقضان، فالعقل مناط إنسانيته الناطقة، إذا عطل بالجهل والغفلة والعمى، مسخت بشرية الآدمي فهبط إلى دونية الدواب، قال الله تعالى: { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ } (الأنفال: 22)، والعقل: هو الذي يحمي الإنسان من أي داء عضال، لأن العقل مناط الوعي والرشد والبصر والتمييز والإدراك، ومن ثم يرتبط الإيمان بالعقل في العقيدة الإسلامية ارتباطا وثيقا، فالقرآن الكريم يتجه إلى العقل في تأييد الدين وترسيخ الإيمان، والله يبين الآيات لقوم يعقلون، لأنهم المرجون للنظر في بينات القدرة الإلهية)[2].

فحين تهمل هذه الحقيقة العظيمة على مستوى الفرد والمجتمع في جميع جوانب الحياة، الدينية أو الاجتماعية، أو غيرهما، تأتي النتائج السيئة، ويختلط الحابل بالنابل، وتضيع كثير من الحقوق، فعلى سبيل المثال _ وضرب الأمثال منهج قرآني – لو أن رجلا وقف موقف العاقل من أمر سيء نسب لأخيه المسلم، إما بالترك، أو بالتثبت، أو بالدفاع عنه وهو أفضلها، كما حث الإسلام على هذه الصور الثلاث، وترك الرابعة، وهي إقحام نفسه في الإثم، لفاز بالسلامة و رضوان الله، ونجى من مغبة ظلم العباد كما في قوله تعالى: { إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ } (النور، 15-16)، والله الهادي إلى سواء السبيل.

المطلب الثاني

---

(1) محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، باب: في من لا يجي عليه الحد، رقم: 1423، ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت، والحديث صححه الألباني رحمه الله.

(2) د. محمد حسين المرتضي، الثقافة الإسلامية ومواجهة التيارات الفكرية المعادية للإسلام ط: 2، ص: 53 – 54، ن: دار الكتب الوطنية – بنغازي.

حدود إعمال العقل في القرآن الكريم

فهذا المطلب مهم جدًّا، وهو من غايات كتابة هذا البحث، فلا يخفى على أحد أن الناس على ثلاثة أصناف، منهم من عطل عقلة في جوانب حياته، و تغلبت عليه التبعية المذمومة، ومنهم من أصبح يتعامل مع الأمور بعقل متحرر من الضوابط التي وضعها الإسلام للعقل، كي لا يحيد به عن جادة الطريق سواء في الأمور المتعلقة بالدين، أو بغيره، ومنهم من أعمله تحت ضوابط تجعله مسددًا موفقًا في ما يقوم به، فمنهج القرآن يحث المسلم على إعمال العقل في البحث عن الحقائق الشرعية وغيرها، لا أن يكون حاكمًا عليها، فلابد للمسلم أن يجعل ضابطًا لنفسه في كيفية التعامل مع الأمور التي تواجهه، خاصة في ما يتعلق بأمور الدين (فمن باب احترام العقل لذاته ومعرفته لطبيعته وحدود مقدرته، ما كان لهذا العقل أن يقتحم ميدانًا ليس بطبيعته مؤهلا لاقتحامه، ولا قدرة له على الخوض فيه، إن المحدود لا يتسنى له أن يحيط بغير المحدود، والفاني لا قدرة له على الإحاطة بحقيقة الأزل والأبد، حيث لا بداية ولا نهاية ولا حدود، وليس معنى هذا أن الدين كله أمر خارج عن نطاق العقل، أو أن الاعتقاد في وجود الله ومعرفة صفاته أمر لا نصيب فيه للعقل، كلا إنما يدخل العقل إلى هذا الميدان من بابه الذي هو مؤهل بطبيعته أن يدخل منه، لا من الباب الذي لا يقدر على فتحه، والذي يضل فيه لو اقتحمه بغير أداته، يدخل من باب إدراك آثار القدرة الإلهية والاستدلال من هذه الآثار على وجود الله، ومعرفة صفاته التي يتفرد بها دون الخلق، ولكن لا يدخل من باب، لكنه الذي لا يقدر عليه ولا يصل إلى نتيجة فيه) [(1)]، ومما لا شك فيه أن إعمال العقل وضبطه في أمور الدين هو أولى الأولويات، به تكون السلامة من الزلل، وتحقيق أسمى غاية، وهو الفهم الصحيح للإسلام عقيدةً ومنهجًا ودعوةً وفقهًا، وخير دليل على ذلك ما نراه من هجمة شرسة على الإسلام من أبناء جلدته فضلاً عن أعدائه.

ويظهر ذلك جليًّا عند بعض الناس عندما يتعارض لديه نص شرعي مع قناعة عقلية لديه، يلجأ إلى الطعن في النص الشرعي إما فهما إن كان من القرآن، أو تكذيبًا إن كان من السنة، لأنه ما من شيء إلا وهو سلاح ذو حدين، ومما هو معلوم أن الوسط في الأشياء أمر عزيز إلا

(1) محمد بن إبراهيم، مذاهب فكرية معاصرة، ط: 1، ص 502، ن: دار الشروق.

من وفقه الله لذلك، قال سبحانه و تعالى على لسان نبيه الكريم شعيب عليه السلام: { وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب } (هود، الآية: 88).

فالمقصود مما تقدم أن لا يكون العقل حكمًا على مسائل الدين، فقد وضع القرآن الكريم العقل البشري في نصابه الصحيح، فلم يجعله المصدر الأول في الحكم على الأشياء كما فعل الإغريق، فقد " كانت العقلانية الإغريقية لونا من عبادة العقل وتأليهه، وإعطائه حجمًا مزيفًا أكبر بكثير من حقيقته " [1]، فأول انحراف هو محاولة إقحام العقل فيما ليس من شأنه أن يلم به، فضلاً عن أن يحيط بكنهه في العقيدة والإيمان، وفي هذا المعنى يقول الله تعالى: { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا } (الإسراء، الآية: 36).

ومن الأمثلة على ذلك: " سئل الإمام مالك رحمه الله عن قول الله سبحانه وتعالى: { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } كيف استوى؟ فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

فبين رحمه الله أن الاستواء معلوم، وأن كيفية ذلك مجهولة، وجميع صفات الله يقال فيها هذه القاعدة فمن سئل عن العلو يقال علو الله على خلقه معلوم، وكيفيته مجهولة، والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب، وهكذا بقية الصفات " [2].

فهكذا كان سلف الأمة في التعامل مع نصوص القرآن والسنة الصحيحة: " إذا تعارض الشرع والعقل، وجب تقديم الشرع، لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به، ولا العلم بصدقه موقوف علي كل ما يخبر به العقل " [3].

فخلاصة القول بأن يوكل الأمر لأهل الاختصاص، هذا من جهة ثبوت النص، وأما من جهة دلالته فليس للمرء أن يعول في فهمه على مجرد استحسانه العقلي، بل لا بد له من الرجوع

---

(1) مذاهب فكرية معاصرة، ص 501.

(2) عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، ص: 125، ن: مكتبة الرشد، ط: 4.

(3) درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ط: 2، ص: 1، ت: الدكتور محمد رشاد سالم، ن: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

لفنون العلم على اختلافها من العربية وقواعدها والحديث وعلومه والتفسير وأصوله، والفقه وقواعده، هذا إن كان من المؤهلين لذلك، فكيف بمن سواهم.

المطلب الثالث

إعمال العقل براءة للذمة:

إن المتأمل في نصوص القرآن والسنة يجد أن التبعية مع اختلاف ألوانها ومشاربها هي داء متجذر في الأمم السابقة واللاحقة حتى أمة الإسلام، وهي طريق ذمها القرآن لا تبرأ بها الذمة، ولا يسلم بها العبد من الإثم، وهي تمنع العبد من قبول الحق ورده، فهناك من جعل دين الآباء حجة في رد الحق الذي جاءت به الرسل، منها قوله تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ } (المائدة، الآية: 104)، وقوله تعالى: { قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ } (الأنبياء، الآية: 53)، وقوله تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} (لقمان، الآية: 21)، كذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم مخبرا عن أمته " لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى، قال فمن" [(1)].

لذا حث القرآن الكريم في أدلة كثيرة على إعمال العقل، وجعله مناطًا للتكليف، ومدح أهله، وبين في قصصه أن العقلاء هم من وفقهم الله سبحانه للنجاة في سجالات الرسل مع أقوامهم في دعوتهم إلى الله تعالى، وأما ما جرته التبعية لأهلها من المذمة والحيد عن طريق الحق، وأنها موجبة للإثم، وكذلك عواقبها الوخيمة، فأدلتها في القرآن كثيرة، منها قولة تعالى: { إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ } (البقرة، الآية: 166-167)، وقوله سبحاته تعالى: { وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ

(1) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، الجامع المسند الصحيح (صحيح البخاري)

المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: 1 ،باب: الطيب للجمعة، رقم: 3456، ن: دار طوق النجاة.

بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (إبراهيم، الآية: 22)، وقوله جل وعلا: { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا } (الأحزاب، الآية: 67).

فلا يخفى على كل لبيب ما يسببه مرض التبعية، وترك المشورة من أفات خطيرة على الفرد والمجتمع ، ومن صورها ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم " سيأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة (قيل وما الرويبضة، قال الرجل التافه) يتكلم في أمر العامة "[1].

نسأل أن يوفقنا وسائر المسلمين لما يحب ويرضى، ويحفظ أمة الإسلام من كل ما يفسد عليها دينها ودنياها، وأن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وصلى الله على سيدنا محمد وأله أجمعين .

النتائج:

1- هناك معاول لهدم الفرد والمجتمع في لباسها الخفي لا يدركها ويتفطن لها إلا اهل الخبرة والاختصاص .
2- هناك أيضًا معاول هدم تغرق المجتمعات، كذلك الفرد لها أسماء وشعارات براقة منها ما هو في لباس الدين كاستدلالهم بقوله تعالى: { عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم } ، ومنها ما هو في لباس المثل الشعبي كقولهم (حط رأسك مع الروس وقول يا قطاع الروس)، وأيضا قولهم (هلي كيف الناس لا بأس) .
3- إهمال المؤسسات التعليمية ومنابع المعرفة للتنويه عن مثل هذه الأمور النافعة للفرد والمجتمع.

(1)محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني ، سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي باب : الصبر على البلاء ، رقم : 4036 ، ن: دار الفكر - بيروت .

4- ضعف الخطاب الديني على المنابر وفي الخلوات والدروس والمحاضرات للتنبيه عن مثل هذه الأسس التي تحفظ المجتمع مما يعسف به من الفتن والشتات والتفرق، وكذا عرضها في قلاب القصص، وضرب الأمثال ليكون أشد وقعًا في قلوب الناس؛ لأن الخطاب الديني هو من أشد قنوات التغيير في الفرد والمجتمع.

5- ضعف علاقة الأمة الإسلامية بكتاب ربها العزيز الذي هو سبب رفعتها تلاوةً وتعلمًا وعملاً.

6- إهمال منابع التعليم والتوجيه الاجتماعية، كالشعر العربي الفصيح، والشعر الشعبي، وضرب الأمثال العربية والشعبية، فهي أيضًا لها دورها الكبير في بناء الثقافة للفرد والمجتمع .

التوصيات والمقترحات:

وانتهيت بهذا البحث إلى جملة من التوصيات والمقترحات أجملها فيما يلي:

1- استظهار المختصين أسس بناء الفرد والمجتمع من الوحي الكريم، وكذا الأساليب لتكون بينة ظاهرة للمصلحين، فإن ذلك أجدى لتصحيح مفاهيم المسلمين على منهج الله تحصيلاً للمقصود منها، وهي هداية الخلق إلى خالقهم وإلى ما ينفعهم.

2- على الداعية الحكيم أن يحيط علما بأحوال المدعوين، الاعتقادية منها والنفسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية، كما ينبغي أن يكون ملما بعاداتهم ولغاتهم ولهجاتهم، محيطًا بمواطن الخلل والانحراف عندهم، مدركا لمشكلاتهم، ومستواهم الجدلي، ونزعاتهم الخلقية، والشبه التي تعلق بأذهانهم، ثم ينزل الناس منازلهم، ويدعوهم على قدر عقولهم وأفهامهم، ويتعاطى الأساليب والوسائل التي تناسب المدعوين.

3- للكلمة أيا كانت إذاعية أو متلفزة أو عبر الأنترنت، أثرها البين في النفس، ووقعها في القلب، فينبغي على المصلحين الإفادة من هذه الوسائل، فإنه يصل بها إلى أكثر عدد من الناس، لاسيما ومنهم من لايلزم الجماعة والجمعات.

4- تأسيس هيئة رسمية تابعة للدولة من ذوي الكفاءة والخبرة، ذات صلاحيات قانونية معنية بتتبع مناهج التعليم في المؤسسات التعليمية؛ لإيجاد الجانب التربوي في مادتها العلمية، وتتبع مراكز التخصص من معاهد دينية، وغيرها لأجل تعريف الطلبة بأسس بناء

الفرد والمجتمع، وحفظه من الأفكار المنحرفة، وضبط وتوجيه الخطاب الديني، وجعله لبناء المجتمع، لا لهدمه ونشر الخلافات والحزبيات، وذلك بالعناية بمن يقومون بذلك اختيارًا وتأهيلاً، كما ينبغي الإشراف المستمر عن كثب على الخطباء والأئمة من قبل الجهات المسئولة، للتأكد من كفاءة الخطيب والإمام في أدائه لواجبه الشرعي.

5- إسهام باقي المؤسسات العلمية في تعليم الناس أسس البناء للمجتمع، وعرضها بالطريقة القرآنية، وذلك بوضع المناهج المحققة لذلك، وتأهيل أعضاء التدريس لهذه المهمة.

6- ضرورة دعم الدولة للعمل الإصلاحي وتشجيعها له، وذلك من خلال رصد إعانات مالية، وتوظيف وسائل الإعلام لخدمة ذلك.

7- استقراء التجارب الإصلاحية باختلاف أزمنتها وأماكنها ومجتمعاتها والاستفادة منها.

وأخيرا فإني أرجو الله أن تنتهي كل الجهود المبذولة في إصلاح المجتمع والفرد إلى مرضاة الله أولاً، ثم بالنفع على مجتمعاتنا المسلمة، والله الهادي إلى سواء السبيل.

المصادر والمراجع:

1-ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ط: 3، ن: دار صادر - بيروت.

2- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، ط: الثانية. جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط: 5، ن: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

3- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، الجامع المسند الصحيح (صحيح البخاري)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: 1 ،باب: الطيب للجمعة، ن: دار طوق النجاة.

4- د. محمد حسين المرتضي، الثقافة الإسلامية ومواجهة التيارات الفكرية المعادية للإسلام ط: 2، ن: دار الكتب الوطنية – بنغازي.

5- درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ط: 2، ت: الدكتور محمد رشاد سالم، ن: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

6- عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط: 1، ن: مؤسسة الرسالة.

7- عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، ن: مكتبة الرشد، ط: 4.

8- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، ن: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: 2.

9- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، ط: الدار التونسية للنشر.

10- محمد بن إبراهيم، مذاهب فكرية معاصرة، ط: 1، ن: دار الشروق.

11- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط: 1، ت: أحمد شاكر، ن: مؤسسة الرسالة.

12- محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، باب: في من لا يجي عليه الحد، ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

13- محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ن: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة.

14- مناهج جامعة المدينة، أصول الدعوة وطرقها 1، ن: جامعة المدينة.